Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

ضوابط وحدود حضور الصورة في ضوء التصور الإسلامي لأدب الأطفال

مجاهدي صباح
جامعة غليزان–الجزائر
medjahdisabah@yahoo.fr

Abstract: *The picture or the drawings accompanying the narrative text occupy an important place in the complete process of literary and artistic creativity for children, as it contributes greatly to enhancing the child's visual sense and expanding his imagination and perceptions, especially in the stage prior to his learning to read. From here, most of the writers of the narrative text, through these drawings and pictures, send an indirect invitation to the child through which he tempts his inclinations and draws his attention to reading the narrative text and enjoying it. This is the case because the first thing that attracts the child in any literary work or book are the bright and charming drawings and colors. Writers specializing in children's literature, including drawings and pictures, are a suggestive language that carries in its forms and colors moral, educational, national and religious messages. It is facilitated by the presence of the ideas and meanings of the child. In view of the position occupied by the image in children's literature, it was necessary to take into account in its presence a set of criteria and standards, in order to be acceptable and convincing, and in agreement with the nature of the target group (children). In accordance with its cultural and religious specificities, the call of the pioneers of Islamic children's literature to the need to adhere to the principles of Islam and its teachings in stories directed to children. As a basis for building the child's entity mentally, psychologically, and behaviorally, it adopted a set of visions, controls, and rules through which the truth of the picture accompanies the narrative text and its characteristics in the light of the Islamic conception.*
Keywords: *Children's stories, Islamic literature, narrative construction, stories.*

الملخص: تشغل الصورة أو الرسوم المصاحبة للنص القصصي، حيّزا هاما في تمام عملية الإبداع الأدبي والفني الموجّه للأطفال، فهي تساهم مساهمة كبرى في تعزيز الحس البصري للطفل وتوسيع خياله ومداركه لاسيما في المرحلة التي تسبق تعلّمه للقراءة. من هنا يعمد جلّ كتّاب النص القصصي عبر هذه الرسوم والصور إلى توجيه دعوة غير مباشرة للطفل، يستهوي من خلالها ميولاته ويجذب بها انتباهه لقراءة النص القصصي والاستمتاع به، ذلك لأنّ أول ما يشدّ الطفل في أي عمل أدبي أو كتاب هي الرسوم والألوان الزاهية والساحرة، فاتّخذ الكتاب المتخصصون في أدب الأطفال من الرسوم والصور لغة موحية دالة، تحمل في أشكالها وألوانها رسائل أخلاقية وتربوية وطنية ودينية...، تَسْهُلَ مع حضورها الأفكار والمعاني لدى الطفل. و نظرا للمكانة التي تحتلها الصورة في أدب الأطفال، كان لزاما أن نراعي في حضورها مجموعة من المعايير والمقاييس، حتى تكون مقبولة ومقنعة، وموافقة لطبيعة الفئة المستهدفة(الأطفال)، موافقة لخصوصياتها الثقافية والدينية من هنا جاءت دعوة رواد أدب الأطفال الإسلامي إلى ضرورة الالتزام بمبادئ الإسلام وتعاليمه في القصص الموجهة للأطفال، كأساس لبناء كيان الطفل عقليا ونفسيا ووجدانيا وسلوكيا، فتبنت

في ذلك مجموعة من الرؤى والضوابط والقواعد التي أصّلت من خلالها حقيقة الصورة المصاحبة للنص القصصي وخصائصها في ظل التصور الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: ادب إسلامي، صورة، قصص الأطفال، البناء القصصي.

مقدمة

لقد كان لزاما للصحوة الإسلامية التي تشهدها الأمة، في مختلف الأصعدة والمجالات؛ الفكرية والثقافية والسلوكية...أن يصاحبها أدب معبر، يعود بها أدراجا إلى الطريق القويم الذي رسمه الله لعباده، وإلى مبادئ الإسلام وتعاليمه، التي جاءت أساسا من أجل إخراج الإنسان من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار العلم والفهم، ومن أجل أن تحيي تلك الثنائية المركّبة في الإنسان وهي ثنائية العقل والنفس-حياة آمنة هادئة، بعيدة عن الارتباك والتشويش المتولّد عن الجهل، والعلم المتكلّف فيه..

من هنا تجلت دعوة بعض الأدباء والعلماء إلى ضرورة تشكيل مسار إسلامي في الأدب، يلتزم بتصورات الإسلام وغاياته، ويرسم بأسلوب فني راق، وتعبير جميل ملامح الإسلام وأبعاده، كعقيدة وكتشريع، وينقل في قالب فني متعدد المناهل والفنون، التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون.

فالأدب الإسلامي بمبادئه وأهدافه، التي تسير وفق التصور الإسلامي، يستطيع التعبير عن أدق الانفعالات، وأرفع المثل، وأسمى المشاعر، التي من شأنها تشكيل دعائم قوية وصلبة في بناء شخصية سوية متكاملة عقديا ونفسيا، "فالإسلام ينظر إلى الأدب ليس باعتباره ترفا ولا ملهاة، ولا ضياعا فكريا كساه لفظ بليغ جميل، وإنما ينظر إليه باعتبار أنّ له وظائف حية ينهض بها في ظل المنهج الإسلامي، وهذه الوظائف تتجلى في خدمة العقيدة والتشريع والقيم والأخلاق خدمة أدبية فنية"[1]،ترمي إلى إيجاد إنسان صالح ومجتمع صالح، بوساطة أدب جميل مختلف الأشكال والأنواع، يحرك الهمم ويدفع النفس إلى الايجابية والجدية في الحياة.

[1] - عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأدب الإسلامي المنهج والوظيفة. كتاب بحوث في ندوة الأدب الإسلامي، المنعقدة في الرياض 1405هـ، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة. ص08

- **فما هو الأدب الإسلامي؟**

الأدب الإسلامي هو أولا وكل قبل كل شيء أدب إنساني، لكن وفق محددات وضوابط إسلامية. وقد اتفق دعاة الأدب الإسلامي في تحديدهم لمفهوم الأدب الإسلامي، على أنه التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون، وفق التصور الإسلامي.

فتجلّت وظائف الأدب الإسلامي وغاياته، في تعميق الرؤية الجمالية لحقيقة الكون الذي أبدع في صنعه الخالق، والإنسان الذي أحسن تصويره وجعله في أحسن تقويم. ويتضح هذا التصور لمفهوم الأدب في صورة واضحة جلية في تعريف عماد الدين خليل، حيث يقول بأنه: "تعبير جمالي مؤثر بالكلمة، عن التصور الإسلامي للوجود"[2]،فيتّخذ عماد الدين خليل التعبير بالكلمة المؤثرة دون سواها الدعامة الأولى في تشكيل أدب موحي، ومن التصور الإسلامي للوجود الدعامة الثانية في تشكيل رؤية إسلامية حقيقية للكون وللحياة وللإنسان.

والتعريف الأعم والأشمل للأدب الإسلامي كما عرفه أحد الباحثين، هو:" التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان، على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل، ومخلوقاته، ولا يجافي القيم الإسلامية"[3]

إذن فالأدب الإسلامي هو أدب هادف يتخذ من التعبير الفني الموحي وسيلة أولى في إبراز التجارب الشعورية، والتصورات الذاتية، في قالب فني لا يحيد عن التصور الإسلامي لهما.

وفي ظل هذا المفهوم للأدب الإسلامي وغاياته عموما، تتجلى معالم وحدود أدب الأطفال الإسلامي، الذي يتميز عن سابقه في مراعاته حاجات الأطفال وقدراتهم،" لينشأ الطفل المسلم ووجدانه مشبع بأنفاس الحضارة الإسلامية وعبقها، وكيانه مهيأ لمعايشة واقع الحياة الإسلامية، سلوكا وتعليما وتربية ومشاركة مسؤولة في ميادين الحياة العلمية، وكل كتابة للأطفال لا تنطلق من هذا المنظور فهي كتابة تفتقد للرؤية الصحيحة للوجود، وتكتفي بالتسلية الوقتية للطفل، ولا تعنى بمستقبله ومستقبل حضارته"[4]

[2] - عماد خليل، مدخل إلى النظرية الأدب. الرسالة، ط:1989. ص29

[3] -عبد الرحمن رأفت باشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 1405هـ ، ص62

[4] - صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار الشروق، ط1: 1422هـ- 2002م، ص204

- **سمات أدب الأطفال الإسلامي**

يمثل أدب الأطفال الإسلامي رافدا من روافد التيار الإسلامي، وأحد تجلّياته الفنية التي جعلت من أدب الأطفال العام أدبا متخصصا، يلتزم بمعايير الإسلام ويسير وفق تصوراته ولا يحيد عنها،" وهو نوع من الكتابة الدينية المتخصصة الموجّهة للأطفال، ترمي الى وصل الطفل بالله عز وجل، ونشر القيم الإسلامية في عقول الأطفال، وتهيئة نفوسهم لأن يكونوا مسلمين صالحين"[5]. غير أن هذا التصور لمفهوم أدب الأطفال الإسلامي لا يعني كما يراه البعض أنه أدب مواعظ، و خطب حماسية، وأدب دعوة فقط، وإنما هو بالإضافة الى ذلك فن يقوم على التعبير الجميل والتصوير الفني البديع، والأسلوب الرقيق، الذي يعكس رقة شعور الأطفال ورهافة أحاسيسهم، وهو أدب يدفع إلى المتعة، وتنمية الذوق وتغذية العواطف بأنبل التوجهات، في صورة مشوقة لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وتعاليمه وأهدافه،" فالأديب المسلم مدعو أكثر من غيره إلى أن يبلغ قمة الروعة في الأداء الفني، حتى يكون أدبه شرارة توقظ القلوب بحرارة التجربة ولهيب الإبداع، ونورا يسير على سناه المسلمون ليخرجوا من تيه الضياع."[6]

- **أهداف أدب الأطفال الإسلامي:**

يهدف أدب الأطفال الإسلامي إلى ترسيخ العقيدة، وإثراء الفكر بتعاليم الدّين وقيمه، وتغذية الطفل بالعلم من المنهاج الرباني، مما يساعد على تثبيت الإيمان والقيم الدينية، بالإضافة إلى تزويد الطفل باللغة الصحيحة المهذّبة، التي تقوم ببناء فكر قويم واتجاه سليم.

ويعمل أدب الأطفال الإسلامي على تعزيز وتنمية الروابط الإيمانية والاجتماعية في حياة الطفل عموما، كما يعمل أدب الأطفال الإسلامي على توسيع مدارك الأطفال وفق احتياجاتهم الخاصة، وتباين ميولاتهم واستعداداتهم وقدراتهم، ويهدف فوق كل هذا وذاك إلى تهذيب خلق الأطفال وتوجيه سلوكاتهم.

[5] - إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الأدب الإسلامي للأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة. ط:1418هـ-1997م، ص23

[6] - صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي، ص242

- **مفهوم القصة في الأدب الإسلامي:**

القصة هي شكل من الأشكال الفنية للأدب عامة، وهي تمتاز عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى بمجموعة من السمات الفنية والشكلية، التي جعلت منها أكثر الفنون الأدبية شهرة وانتشارا وتداولا، لاسيما بين فئة الأطفال، لتوفرها على عنصر الحكاية والسرد وعناصر التشويق، التي تحقق التفاعل بين النص القصصي والطفل (القارئ)،الذي من شأنه أن يخلق عنصر التأثير عند الطفل، بما يتضمنه النص القصصي من مضامين وأفكار ومعاني، لذا"فإن أنسب القصص للأطفال هي التي تكون مشتملة على قيم أخلاقية سليمة تتلاءم مع ما سمعوا وألفوا تطبيقه في الأسرة"[7]،وتتوافق مع ما تلقوّه وتعلموه في المدرسة.

ولا شك أن في الإسلام(قرآنا وسنّة وتاريخا)،ما يعين أدب الأطفال حتى يحقق غاياته التربوية والفكرية والجمالية والنفسية، ففي القرآن الكريم والسنة النبوية وسير الأنبياء والرسل وتاريخ العرب، من القصص الهادفة والغنية بالقيم والمثل والعبر التي "توجه نفوس الأطفال الى كمال القيم الأخلاقية والسلوكية، والتي توضح جزاء حسن الإتباع والتطبيق لأوامر الله تعالى، كما تبيّن عاقبة الضياع والإهمال والتفريط في حقوق الله عزّ وجل وحقوق الناس أيضا"[8]،وتنمي فيهم في المقابل ملكة الإحساس المرهف وملكة التذوق السليم والإحساس بالجمال.

فالقصة إذا في تصور الأدب الإسلامي هي فن من فنون الأدب الجميل، التي تتلاءم مع المقاييس الفنية الإبداعية الملتزمة بقيم الإسلام ومبادئه وأصوله، والتي تحمل في مضامينها مواضيع هادفة نابعة من التصور الإسلامي الذي يرفض كل مخالفة شرعية أو تربوية أو سلوكية واردة في سياق الإعجاب.

- **أثر التصوير في البناء القصصي**

لقد اتّخذت القصة لنفسها مكانة بالغة في الأهمية، من ضمن مجموع الفنون الأدبية الأخرى الموجّهة للأطفال، نظرا لما تضمه القصة في جنباتها من عناصر جذب الانتباه والتشويق، وجمال في التصوير الفني وسلاسة في التعبير، وما يصاحبها أيضا من أشكال وألوان

[7]- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الأدب الإسلامي للأطفال. ص28

[8] - المرجع نفسه، ص29

جذابة وصور ساحرة، تستميل أفئدة الأطفال ومشاعرهم "ولا شك أن مصاحبة الألوان أو الصور أو الرسوم أو الحركات للكلمات، في الفنون الأدبية المختلفة، مما يستثير اهتمام الأطفال ويجعلهم يعنون بالتفصيلات، كما أن الصور تنطبع في أذهانهم، وبها يغنى النص ويتضاعف إيحاؤه، وذلك كلما كانت الصور أكثر اتصالا بحياتهم"[9]،فللصورة دور فعال في جذب انتباه الطفل، حيث تعينه على استقبال الرسالة التي يتضمنها النص القصصي ،وفهمه فهما صحيحا، فتحلّ بذلك في شعوره وتستقر في ذهنه، مما يدعّم عملية الاتصال ويثري فاعلية النص بالنسبة للطفل، فيتوحّد الطفل مع المواقف التي يحتويها المضمون، "فكل ما يقال أمام الطفل يعدّ زادا لمداركه، وكل ما يراه الطفل ويقرؤه ويشاهده أو يوحى إليه، أو يستشعره يشكل عطاء يترك تأثيرا، بل يطبع بصماته في دوائر مكنونات الطفل"[10]

فتتضح لنا إذا فاعلية الصورة أو الرسوم المرافقة للنص، ومدى تأثيرها الذي يبلغ حدّ التأثير في وجدان الطفل، وتتمادى إلى أحاسيس الأطفال لتمسّ الذوق الفني عندهم، وترمي إلى حدّ التغيير في سلوكات الأطفال وأخلاقهم وأفكارهم "فهي لغة أخرى غير اللغة المتعارف عليها، لكنها غير كلامية، وتضاعف من أثر اللغة عند الإنسان بصفة عامة، والطفل بصفة خاصة"[11]. ونظرا لهذه الأبعاد التي يمكن أن تحقّقها الصورة أو الرسوم، كان لزاما أن تخضع عملية وصل النص القصصي بالصورة إلى جملة من الضوابط والأسس السليمة والصحيحة، حتى تكون الرسوم أو الصور وسيلة ناجحة لحمل الأفكار والمعاني الراقية الى الطفل، "فتحرك استجاباته للتلقي، والمشاركة بإيجابية فيما حوله"[12]

الضوابط الإسلامية في حضور الصورة التشكيلية في القصة

يقوم أدب الأطفال الإسلامي في صناعته الفنية التي تمس سائر الفنون الأدبية والتي من بينها فن القصة، على مبدأ الالتزام، وهو القانون الذي يخضع له أمر الانقياد والامتثال لمعايير

[9] -الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص 23

[10] – الأدب الإسلامي للأطفال، ص24

[11] –المرجع نفسه، ص18

[12] - الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص 27

وقوانين محافظة على مبادئ الإسلام وقوانينه في النصوص الأدبية، من ذلك ما ينبغي أن يلتزم به الأديب المسلم في حالة إقران النص القصصي بالصورة أو الرسوم.

حيث يدعو أدب الأطفال الإسلامي إلى الاهتمام بالشكل الجذاب، والإخراج الجيّد، والتصميم المعبّر عن مضمون القصة، ولذا:

- يجب أن يراعى في عملية الإخراج الفنّي والشكلي للعمل القصصي، الابتعاد عن التماثيل والتصوير للبشر والحيوانات، ولكل ما فيه روح.
- يباح التصوير والتشخيص لبعض الرسومات الفنية التي تعبّر عن الطبيعة، من أنهار وجبال وأودية وأزهار...إلى آخره بما يتناسب مع مضمون العمل الأدبي، حتى تبرز قدرة الله في خلق الكون، وعظمته في تيسيره لأحوال الكون، ليزداد إيمان الطفل.
- يجب أن يكون تجسيد الأحداث والشخصيات من الواقع الفعلي، والابتعاد عن صناعة وتشكيل شخصيات وأحداث خيالية لا تمتّ للواقع بأي صلة
- ضرورة إلحاق الصورة بما يتعلق بآداب الطفل المسلم في حياته، من آداب (كالمأكل والمشرب والنظافة)، وسلوكات (كالتحية والسلام، حق الطريق، وإماطة الأذى، الاحترام)، وواجبات (كالوضوء، الصلاة، الدعاء، الصيام)، بهدف تعميق الممارسات الدينية في نفوس الأطفال في قالب توضيحي مشوق عن طريق القصة.
- تسمح الصورة بتقريب بعض الحقائق العلمية والكونية إلى عقل الطفل بشكل دقيق، مما يمنح الطفل القدرة على تنمية قدراته الفكرية، ووعيا صادقا بالحياة والطبيعة والكون والإنسان.
- ضرورة انتقاء الصورة أو الرسم المناسب لمواقف وأحداث القصة، والابتعاد عن التهويل والإيغال في الخيال والخرافات، التي تثير الشكوك في ذهن الطفل.

فهذه الشروط والضوابط التي يقرّها الأدب الإسلامي في صياغة الرسوم أو الصور في أي عمل أدبي من شأنها أن تحقق انسجاما مقبولا وصحيحا بين الصورة والنص الأدبي بما يتوافق وخصوصيات الطفل المسلم (العمرية والفكرية والعقدية) مما يضمن التوحد الآمن بين فكر الطفل وفطرته وعقيدته.

خاتمة

إذا كنّا قد طرحنا هذا الموضوع لتقديم ولتحديد أهمّ التزامات الأديب المسلم أمام أي عمل أدبي يقدّمه للطفل المسلم، فإنّنا نريد بذلك أدبا شاملا ومتكاملا يفي باحتياجات الطفل الروحية والفكرية والسلوكية، آخذين بعين الاعتبار خصوصية الطفل المسلم وانتمائه الديني والعقدي الذي يلزم الأديب دوما باحترام مبدأ المحافظة والالتزام، حتّى يحقق بذلك التوازن بين عناصر المعادلة التي تجتمع فيها قواعد ومقاييس بناء فن القصّة من جهة، وخصوصيات الطفل العمرية والنفسية والفكرية من جهة أخرى.

References

[1] ʻAbd Allāh ibn ʻAbd al-Muḥsin al-Turkī. al-adab al-Islāmī al-manhaj wa-al-waẓīfah, Kitāb Buḥūth fī Nadwat al-adab al-Islāmī, al-munʻaqidah fī alryāḍ16/07/1405h, Iṣdārāt al-Mihrajān al-Waṭanī lil-Turāth wa-al-Thaqāfah.

[2] ʻImād Khalīl madkhal ilá Naẓarīyat al-adab, al-Risālah Ṭ : 1989m.

[3] Abd al-Raḥmān Raʼfat Bāshā. Naḥwa madhhab Islāmī fī al-adab wa-al-naqd, Jāmiʻat al-Imām Muḥammad ibn Saʻūd al-Islāmīyah, al-Riyāḍ. 1405h

[4] Ṣābir ʻAbd al-Dāyim al-adab al-Islāmī, bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq, Dār al-Shurūq, Ṭ1 : 1422h-2002m.

[5] Ismāʻīl ʻAbd al-Fattāḥ ʻAbd al-Kāfī. al-adab al-Islāmī lil-aṭfāl, Dār al-Fikr al-ʻArabī, al-Qāhirah Ṭ : 1418h-1997m.